الفن التشكيلي في العراق

عيدان الشيخلي

شوكت الربيعي

ان العمل الفني القائم على أساس واقعي انما يفعم قلب المرء بحب الحياة . من هنا ظل النحت المعاصر في العراق ، وفي بعض أقطار الوطن العربي ، وفياً لهذه النظرة ، ساعياً إلى خلق علاقات أوثق وأنضج بين المادة والفكر ، «لأن العناصر البنائية أو التركيبية مثل الخط ، والكتل ، والتوتر ، والتوازن ، تكمن وراء قوانين الحياة كلها ، والجمال كله . وكل هذه الاستخدامات مشروعة في الفن لخلق نظام جديد للحقيقة» .

والنحات يبحث دائماً عن التنظيم ، والتنسيق ، والتوازن ، والمواقف المتميزة في خلق عالم متلاحم مع الصور الحيّة ، كما يبحث عن الرغبة في التشكّل وتوضيح الانفعال الداخلي . ومصدر اتجاه النحت الواقعي الحديث يكمن في الايماءات والالتماعات التي كانت تضيء ـ دوماً ـ منحوتات المبدعين ، الخلّاقين الذي يصطفون مادتهم من الحياة والمجتمع .

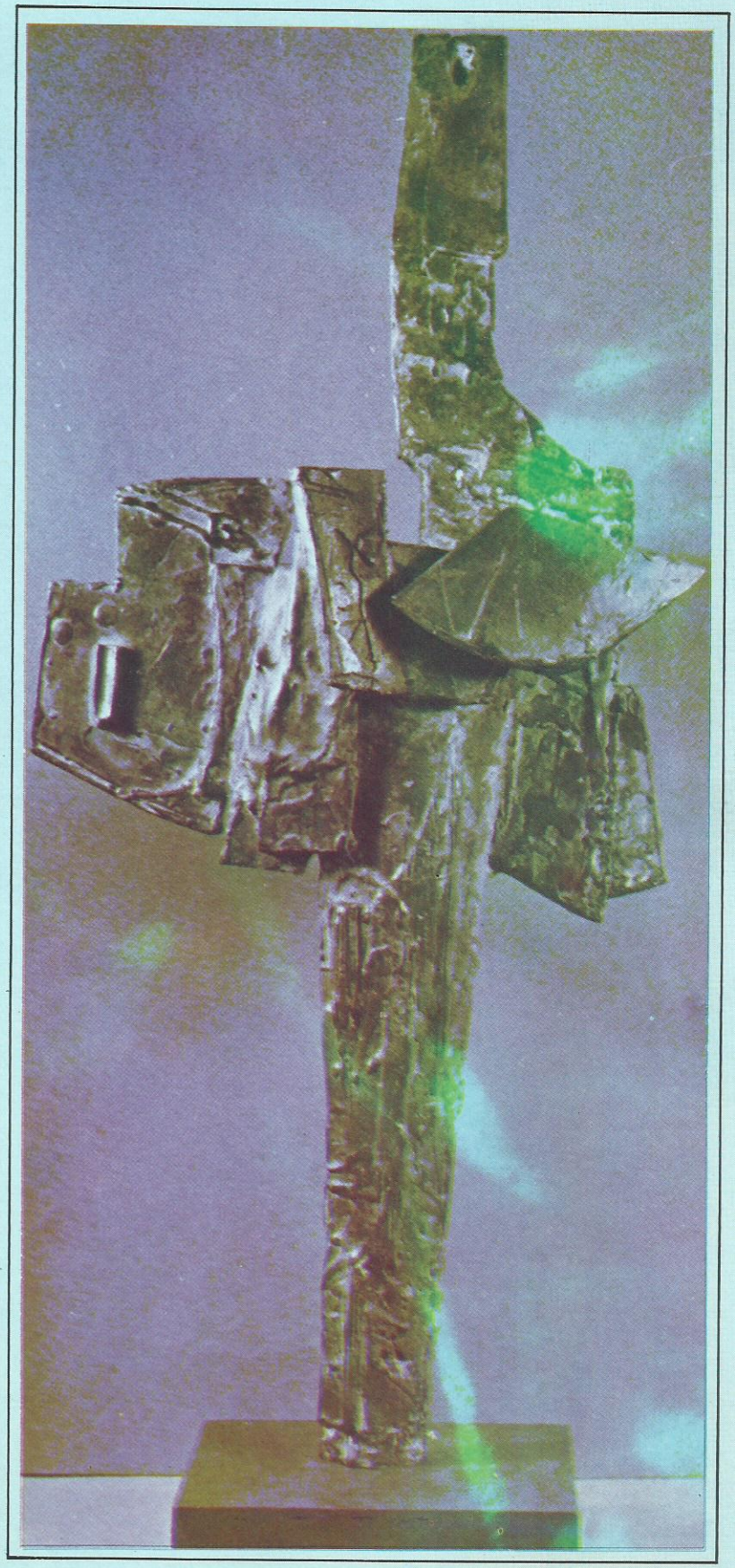

عيدان الشيخلي

ولد ببغداد عام ١٩٣٢، أنهى معهد الفنون الجميلة عام ١٩٥٧ ، التحق بالبعثة العلمية عام ١٩٦١ وعاد الى العراق عام ١٩٦٦ . حصل على الدبلوم عام ١٩٦٤ من انكلترا . درس النحت بصب البرونز في كلية جلسي وكلية الفنون المركزية بلندن . عمل كمساعد فني لمدة ١٥ شهراً في معمل فيوريني وكارني لصب التماثيل البرونزية ، درس صب البرونز في كلية الفنون المركزية عام ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ . درس النحت والحفر على الخشب في مدرسة ستكول وواترلو عام ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ . عضو جمعية الفنانين العراقيين .

المعارض التي شارك فيها :

١ـ معرض المنصور ، بغداد عام ١٩٥٦

٢ـ معرض الاكاديمية الملكية بلندن عام ١٩٦٤ و ١٩٦٥

٣ـ معرض جمعية التثقيف بواسطة الفن الذي تشرف عليه وزارة المعارف البريطانية للاعوام ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦

٤ـ معرض جمعية الفنانين الانكليز ، لندن عام ١٩٦٦

٦ـ معرض الاتجاهات الحرة في الفن الحديث ، لندن عام ١٩٦٦

٧ـ معرض الهواة العالمي ، لندن عام ١٩٦٦

٨ـ معرض جمعية الفنانين العراقيين بغداد ١٩٦٦ ، ١٩٦٧

٩ـ معرضه الشخصي في غالري « أيا» ، عام ١٩٦٦

١٠ـ معرضه الشخصي في المتحف الوطني عام ١٩٦٨ .

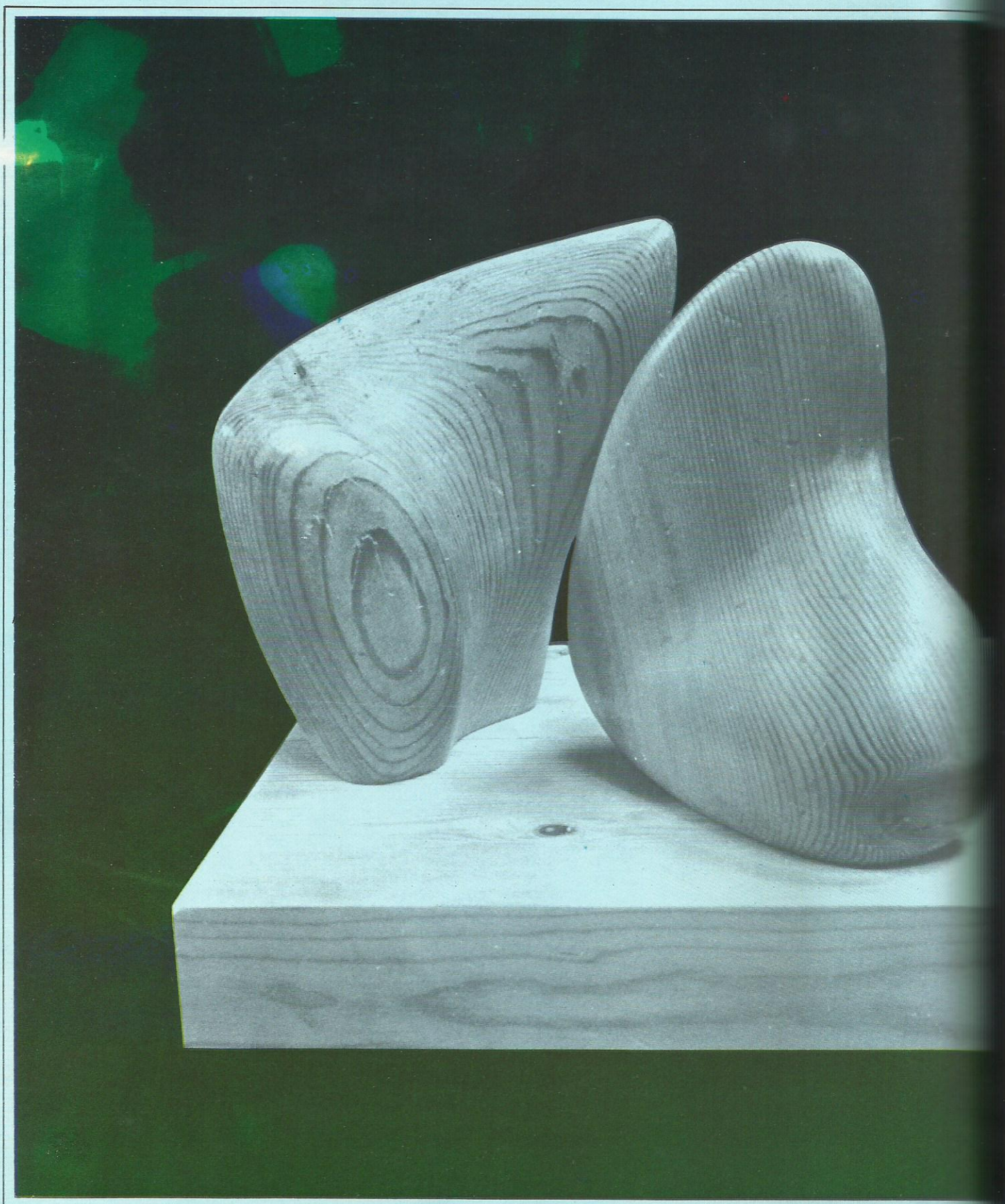

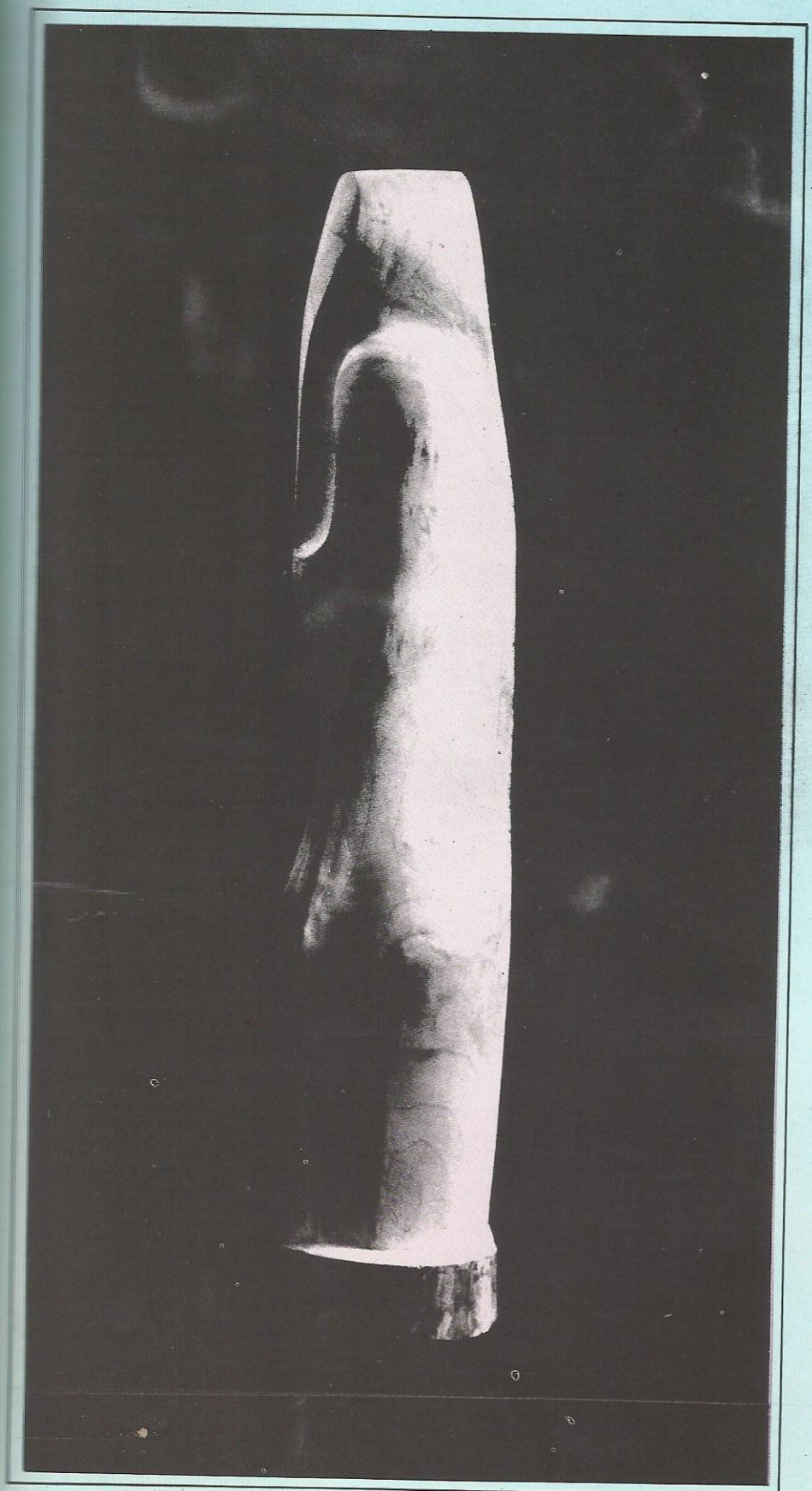

تجربة عيدان الشيخلي تنتمي إلى اولئك الباحثين عن التنظيم ، والتنسيق ، والتوازن من حيث خلق حقيقة تتلاحم مع الهور الحيّة في الواقع وإن لم تتهيأ لهم ظروف تفعم تطلعهم بالحماسة وتحفزهم للانتاج المتواصل .

كم تمنّى أن يظل في ظلال حلم عاشه في معمل «فيورينى وكارني» لصب التماثيل البرونزية طيلة خمسة عشر شهراً .. قبل هذا كانت خيوط حلمه تنسج أفكاراً شابة احتضنتها تجربته في صب البرونز في كليّتي «جلسي» والفنون المركزية بلندن في عامي ١٩٦٥ـ ١٩٦٦ .

كان زمن حلمه عامة يقع مابين ١٩٦١ ـ ١٩٦٦ وكانت لندن باحته ومسرحه ..وامتد تاثير تلك الفترة حتى بعد عودته إلى بغداد ، سنينَ لاحقة ظل عيدان الشيخلي يعمل ، ويجرّب ، وينتج ، ساعياً في تقصيّه الدائب إلى تحقيق شهادة الذات ، صنع الذات ، وتكوين الملامح والسمات التي تهب القدرة على تمييز صياغته ومعالجته من بين سائر التجارب الابداعية الأخرى في النحت الحديث .

وكانت المرأة موضوعه الأساس .. قضيته الأولى المرأة الحامل ، في أوضاع وحركات مضمرة ؛ سكونيتها تحمل الرغبة في خلق حقيقة .. في الميلاد . عالم متلاحم مع الصور الحيّة قائم على توضيح الانفعال الداخلي ..

بدأ هذا البحث منذ معرض المنصور في عام ١٩٥٦ ، واستمر في منحوتاته التي قدمها في معارض الاكاديمية الملكية بلندن (وفي عامي

١٩٦٤ـ ١٩٦٥) ، وكذلك في معارض جمعية التثقيف بواسطة الفن للسنوات (٦٤ـ ٦٥ـ ١٩٦٦) وفي معارض جمعية الفنانين الانكليز وجمعية بليدن للفنون والاتجاهات الحرة في الفن الحديث ، ومعرض الهواة العالمي عام ١٩٦٦ سعياً للتماهي : للاندماج بالهوية .

مابين تلك المعارض وآخر معرض شخصي أقامه في عام ١٩٨١ على قاعة الرواق ، بل وآخر ثلاثة أعمال خصصت لمعرض بغداد الدولي (بينالي بغداد ١٩٨٨) .. بين تلك وهذه معاناة حافلة بالتجريبية ، مابين مواد النحت : المرمر والبرونز والخشب والحديد والصفيح والفضة وانواع أخرى من المعادن .. معاناة حافلة بالصياغة والاسلوبية في تنوع المادة حققت أعماله النحتية ، (وبخاصة موضوع المرأة) ، مابين تقطيع أوصال الكتلة والبناء والتركيبية ..

هكذا أخذته الرغبة العارمة في استنفاد الممكنات الى حدودها القصوى في التقنية وبمادة الصفيح المقطّع ، أو المطعّم بفصوص من انواع الحجر الكريم والفضة ، وما له علاقة بالموروث الشعبي والحلي الذي أقامه على قاعة جمعية الهلال الأحمر / الفرع النسوي في ٣٠/ ١٠/ ١٩٦٩ ، وقدّم اكثر من مائتي قطعة ، حققها على أساس وتصميم وبناء ورؤية ومبادىء النحت . وقد سعى في هذه التجربة إلى تحقيق هدفين مهمين هما :

أ ـ هدف التنّوع في المادة واخضاعها إلى مفهوم تركيبي وتصميم مبسط وصياغة شكلية حديثة أساسها النحت .

ب ـ نشر مثل هذا النوع من الانتاج

الفني بين أوساط المجتمع ، كما فعل الفنان السومري والأشوري والبابلي من الأختام الصغيرة الى النصب والتماثيل الضخمة للآلهة .

تجربة عيدان الشيخلي لاتنفصل في جماليتها عن خلفية أمته وشعبه التأريخية في الفن ،وبخاصة روائع الصياغة والتشطيف على مواد مختلفة ، وتصحيف المعادن ونقشها وزخرفتها ، وتطعيم المنحوتات القديمة بأحجار ومواد كريمة ، كالحجر الأحمر والأسود واللازورد والفسيفساء والجواهر والذهب والفضة والمعادن النفيسة الأخرى . من هنا كانت الصلة التأريخية بين تجربة (عيدان) وموروثه الحضاري الذي امتد للفترة المتأخرة من العهد العربي الاسلامي .

وهكذا نجد أن تجربة هذا الفنان قد دخلت الحياة من خلال المفاهيم الميثولوجية وفق خلفية المجتمع الأخلاقية .. ورمز كل ذلك (المرأة ـ الأم ـ الحبيبة ـ الأرض) . النقطة المهمة تكمن في هذا التداخل رقيق المعنى وفي هذه الاستعارة الذكية حينما تتحول الأفكار إلى صياغة نحتية برؤية حديثة تمسُّ القيمة الروحية ، في منبتها ونبعها الشعبي ، مسّاً حنوناً . ان نجاح هذه التجربة يكمن في تجاوز هاجس جعل المادة وتقنيتها ، نحو تحقيق روح الأشياء في مادة الموضوع : الأم الحامل .. الرغبة في التشكل : في خلق حقيقة تتلاحم مع صور الحياة .. وتوضيح الانفعال الداخلي .

وتبقى المادة المستخدمة في النحت ، العنصر الأشد تأثيراً في عمل

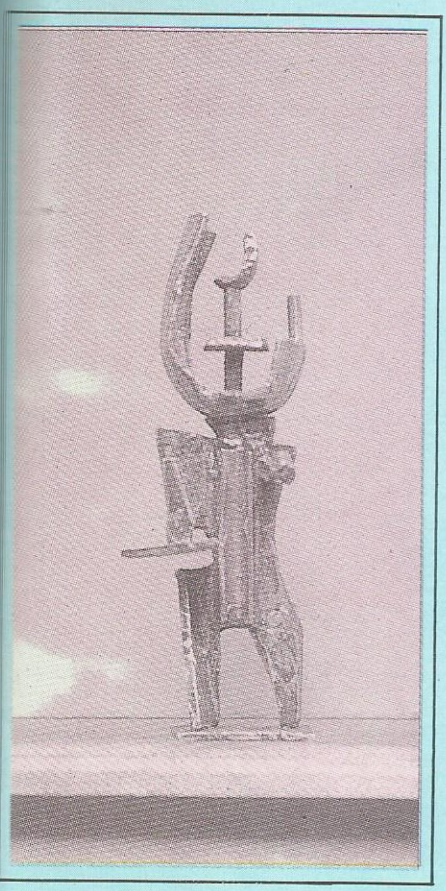

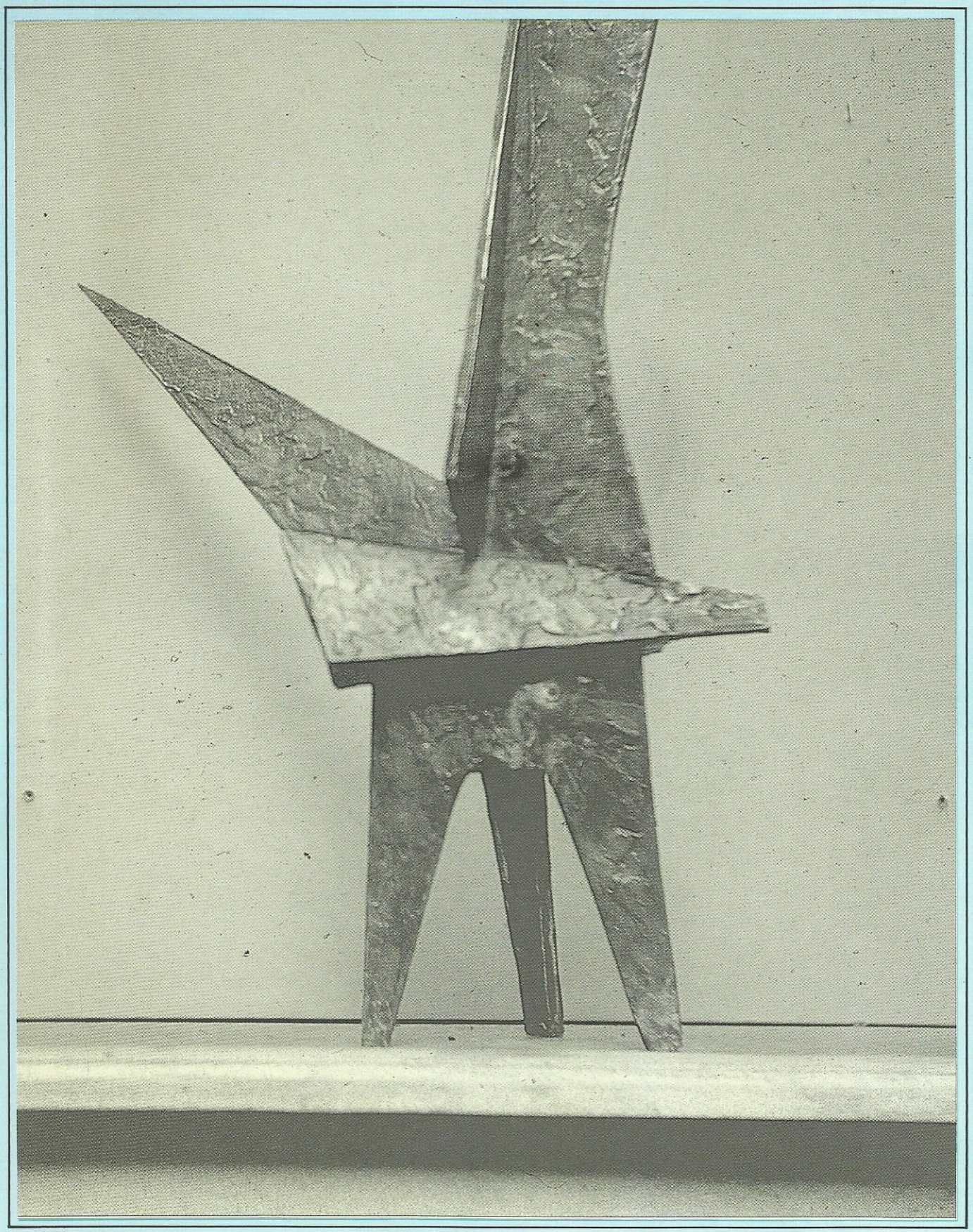

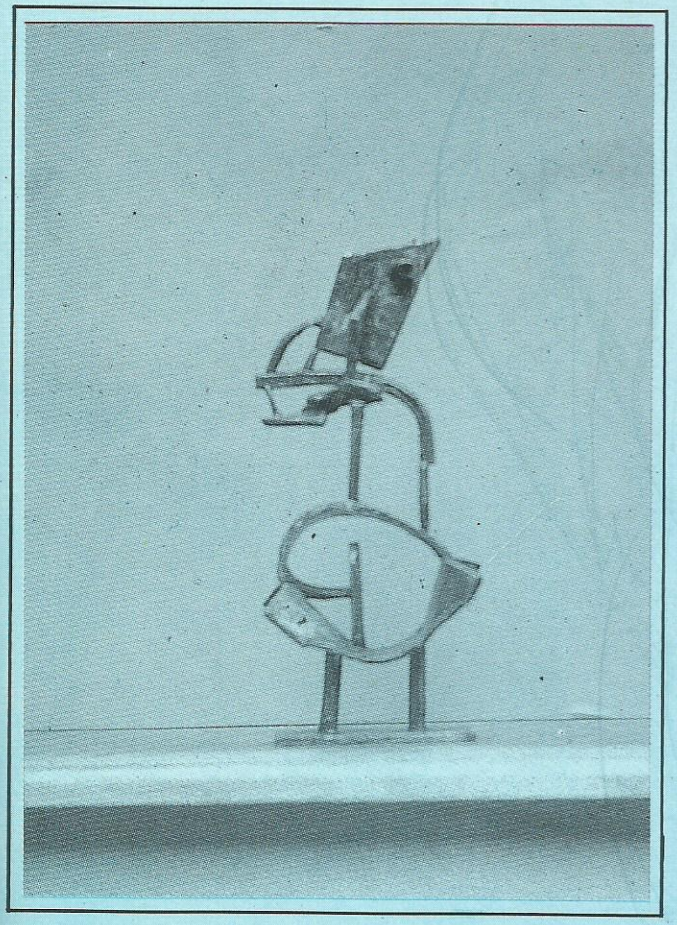

النحات وفي عين المشاهد ، بل وتبقى الهاجس النابض في قلب الأفكار قبل ولادة التجربة الفنية . ومع هذا النجاح في استخدام جميع مواد النحت المألوفة ، المتوفرة ، يبقى النحات «عيدان الشيخلي» منشداً في حنينه الى مادة البرونز ، على الرغم من تكاليفها الباهظة وغياب المصاهر الفنية الحديثة التي تخدم حركة النحت في أي بلد ، بل وتؤثر في تقدمها وضمورها الامكانات الفنية والتقنية التي يتيحها البرونز في التعبير عن الفكرة الجوهرية في المضمون ، أعلى بكثير من تلك التي تقدمها مادة الصفيح ، ناهيك عن الفرق بين عنصري المادتين ومقاومتهما لعوامل التعرية والتآكل وعوامل البيئة من أجل الاطمئنان إلى ادامتها في عمق المستقبل . وتنسحب هذه الملاحظة على نوعية وخاصيّة مواد النحت الأخرى القليلة المتوفرة في العراق .

ان التجربة الجمالية في النحت ، التي مارس جانباً مهماً منها الفنان عيدان الشيخلي وبالمواد الممكنة المتوفرة على قلتها ورداءتها ، تشير إلى التنظيم الأساس في جوهر النحت القائم على عناصر المعادن والأخشاب والأحجار والمرمر والطين والشمع ، محققاً ذلك في نظام متناسق يسبح في فضاء أضفى على العمل الفني مهابةً وتنظيماً وجمالاً أخّاذاً يتطابق مع القيم الجمالية المبتغاة ، المؤثرة ، المغيّرة ، المحركة للعواطف والأفكار الانسانية باتجاه المستقبل .

وأذا لم تتح لمثل هذه التجربة فرصة النهوض والشيوع والازدهار فوق ساحات بغداد وحدائقها ومتنزهاتها ، فهذا لايعني أن حقيقتها الجمالية الخلاقة سوف لن تجد لها متسعاً من الفضاء لكي تتوهج في رحابه ولو بعد حين . فالكثير من نحاتينا ، أمثال : نداء كاظم وعبد الجبار البناء وصادق ربيع ومنقذ شريدة وخلود سيف ، شأنهم في ذلك رسامين مبدعين آخرين ، عاشوا في هدوء الظلال مقدسين تجاربهم لذاتها وهم ليسوا بحاجة إلى المزيد من المرايا.. واحدة في الابداع تكفي لكي يستقروا آمنين في عالم الفن الحقيقي .